القصة الأولى

قوانينُ الحبِّ:

لا تذهب إلى حيث يأخذك الحب

بل خذ الحب إلى حيث أنت ذاهب.

جلال الدين الرومي

*****

تغير لفافات رجل أربعيني قد احترق بزيت حار لَمَّا كان يحضر العشاء له ولزوجته فانقلبت المفاجأة إلى فاجعة باحتراقه.

تعقم "فيكي" الحروق وتنظفها ثم تضع عليها كريمة خاصة مهدئة للآلام.. وتعود وتلفها بشاش أبيض.. تستمع إلى الحديث الجاري بين الرجل وزوجته السمراء الجميلة. هي تعاتبه على ما فعل وكيف أذى نفسه.

كانت تقول الزوجة لزوجها: "أنت طوال مدة زواجنا لم تدخل المطبخ وتحضر لك كوبًا من القهوة وتأتي لتحضر عشاء مرة واحدة.. انظر إلي أين وصل بك الأمر".

ابتسم الرجل لكل عتاب زوجته وأجابها بهدوء: "كنت أريد أن أفاجئكِ بِعِيد زواجنا.. أن أقدِّم لك شيئًا أنا تعبت بتحضيره، لكن على ما يبدو، مهاراتي في المطبخ ليست كمهاراتي في السرير ".

تبتسم "فيكي" دون أن تتداخل في الحديث فتفهم زوجته وتؤشر له بالتوقف عن الحديث الخصوصي الذي سيذهب إلى مواضيع أخرى.

يستدير المريض ويقول لها: "اعذريني يا حضرة الممرضة، لم أقصد أن أتحدث أمامكِ".

أجابته وهي تلملم أدواتها الطبية؛ فقد انتهت من تضميده وتقول: "لا عليك، سأتركك وحدك مع زوجتك، وعيد زواج سعيد، أتمنى لك الشفاء العاجل".

شكرها وخرجت.. أغلقت الباب وراءها وما زالت تبتسم لما سمعته من الرجل في الداخل وما رأته من خجل على وجه زوجته، وكيف كانت طرفًا في ذلك الحديث.

تلقتها صديقتها "ليلى" الخارجة هي أيضا من الغرفة المجاورة فسألتها:

- ما بك.
- لا شيء.

أجابت "فيكي" ونظرت إلى ساعة يدها؛ إنها الخامسة عصرًا.. حان موعد دورة الأطباء على المرضى في الطابق الرابع وهو الذي تعمل فيه "فيكي"، تفكر أنه سيأتي وستراه.. ستشبع عيناها بلقياه وأذناها بصوت.

تعيش حبًّا من طرفٍ واحدٍ، بل هو أقرب للإعجاب منه من الحب. ما زالت لم تختبر الحبَّ بعد، ولم تتذوق طعمَ العشقِ، لكنها تأمل أن تعيش معه؛ مع فيرناندو الطبيب جراح التجميل الأكثر شهرة في المستشفى العام في نيويورك.

هي من وصفوها ب"ملائكة الرحمة"، ترتدي ملابسها الزرقاء الخاصة، ترفع شعرها مثل ذيل حصان حتى لا يزعجها عندما تقوم بعملها، تضع حول رقبتها شريطًا يحمل اسمها ونوع عملها.

الممرضة.. فيكتوريا ديلانوس.

قسم الجروح والحروق.

مستشفى العام في نيويورك.

فيكتوريا.. الكلُّ يناديها "فيكي"؛ فتاة شقراء بعيون عسلية دافئة جدًّا، محبوبة كثيرًا، هي فعلًا بلسم للجروح، ومهدئ للجراح. كل من يتعرف إليها لا يستطيع مقاومة حبها واحترامها. تعمل على مدار الساعة بنشاط، ولا تفرِّق بين مريض وآخر. تعشق عملها جدًّا لأنه يفسح لها الطريق بأن تتعرف إلى أناس جدد وتكون وسيلة لراحتهم.

انتهت لتوها من مريضها السابع هذا اليوم.. ذهبت لتأخذ استراحة قصيرة.. اشتهت كوبًا من القهوة الساخنة. كانت واقفة أمام ماكينة صنع القهوة وهي تنتظرها لتأخذها وتشرب. لما فتح باب الغرفة، كان الدكتور أليكس وبيده ملف يخبرهم أن هناك حالة عاجلة، ويجب عليهم التدخل فورًا.. وطلب فيكتوريا بالاسم أن تساعده على الرغم من وجود غيرها، وهي كانت في استراحتها.

لم تشتكِ قط، ولكنها اِنصاعت بسرعة للأوامر وجرت خلفه إلى المريض الذي أتى بحروق من الدرجة الثالثة ببخار الماء.. يبدو من ملفه الذي قرأته وهي ذاهبة إليه أنه يعمل في محطة لتوليد الطاقة ببخار الماء، وحدث انفجارأدى إلى احتراقه.

تدخل الطبيب بسرعة بمساعدتها وبدأوا بتنظيف الحروق أول الأمر، ثم طلب الدكتور أليكس بأن يخبروا الدكتور فيرناندو أن يأتي ويلقي نظرة على

جروحه أيضا، قد يحتاج إلى خبرته في مجال التجميل وترقيع الجروح وخاصة التي تتسبب بها الحروق.

لَمَّا سمعت "فيكي" اسم فيرناندو، شعرت بسعادة وتوتر لأنها دائمًا ما تتوتر حين تكون بجانبه، أو تسمع عنه.. لكنها فرحت لأنها ستراه على الأقل.

بعد أن اِنتهت من فعل الأمور الآزمة وإعطاء المريض جرعة من المسكنات لتخفيف آلامه، حوَّلوه إلى غرفة خاصة في الطابق الرابع الخاص بقسم الجروح والحروق.

استقل أليكس وفيكي المصعد معًا.. حين قال لها: "منذ كم سنة ونحن نعرف بعضنا يا فيكتوريا؟".

أجابت هي: "منذ أن كنَّا في المدرسة يا دكتور".

قال لها: "فعلًا.. انظري إلى الوقت، كم سنة مرت علينا وأنا أعرفك جيدًا جدًّا".

قالت باستغراب: "كيف يعني؟ لم أفهم.. ماذا تعرف عني؟".

لم يجبها لأنه خرج بعد أن توقف المصعد بهم.. لحقت به لتفهم ما الذي يقصده، لكنها توقفت عن الجري بعد أن رأت أحلامها أمام عينيها.. تمشي وهي ترتدي مريولًا أبيضَ وحول رقبته سماعاته الطبية.. أحلامها على هيئة دكتور فيرناندو.

وقف مع أليكس يتحدثون حول المريض الذي تم إسعافه للتو يتناقشون فيما بينهم عن إمكانية تخفيف التشوُّه الذي حدث له في جزء من وجهه السفلي ورقبته.

ينظر الاثنين إلى الصور التي في يديهم وهي تنظر إلى فيرناندو، مأخوذة

بحديثه وحركاته. تنظر إلى شفتيه التي يتكلم بها، عن سحره العجيب في جذب انتباه أي امرأة وبسهولة. تراقبه كأنها تشاهد مقطعًا من إحدى الأفلام بالسرعة البطيئة حتى تنعم بأكبر وقت من مشاهدته. وكم هي عشيقاته ومعجباته. نصف ممثلات هوليوود أتين ليجعلهن أجمل حين يحط بعض من لمساته عليهن. والآن وهو منذ شهور يخرج برفقة "بيلا" راقصة الباليه الشهيرة. وهي ترافق أحلامها فقط.

قاطع تفكيرها الشارد أليكس وقال حين نده عليها: "فيكتوريا.. نحتاج إليكِ الآن".

أومأت برأسها مبتسمة.. كيف لا تلبي الطلب وهو سيجعلها قريبة من فيرناندو هكذا؟

ذهبت خلفهم، وهم يتقدمونها بخطوة واحدة.. دخلوا ثلاثتهم إلى غرفة المريض وبدأوا يشرحون له الخطة القادمة في مساعدته على إعادة جسده كما كان أو على الأقل بأقل تشوهات ممكنة.

ولما انتهوا، عاد فيرناندو إلى عمله، وبقي أليكس يكتب بعض الملاحظات في ملف المريض.. تقف بجانبه "فيكي" وهي ما زالت تتبع بعينيها فيرناندو، فقال أليكس ودون أن يرفع عينيه من على الملف: "هل يعجبك".

استدارت إليه قائلة: "من؟ ماذا؟ كلا".

أغلق أليكس الملف وقال لها: "لا تكذبي يا فيكتوريا.. لو كان بيدك لكنت تبعته الآن.. أعلم جيدًا أنك معجبة بفيرناندو، لكن ليس لديك الفرصة بوجود ساحرات من حوله".

قطبت حاجبيها؛ فهي تكره حينما يناديها بفكتوريا، وهو الوحيد الذي يناديها هكذا، ثم إنه يتدخل في شيء لا يعنيه فقالت:"أرجوك يا دكتور أليكس، لو كنت تعتقد أن معرفتنا القديمة تعطيك الحق في التدخل بحياتي، فأنا لا أسمح لك".

كادت تبتعد لما توقفت فجأة حين سمعته يقول: "أستطيع مساعدتك بالحصول على ما تبتغين".

فكرت لثوانٍ.. استدارت، وقالت: "ما الذي تقصده".

أجاب هو بينما يتقرب منها وهمس بأذنها: "سأعلمك كيف توقعينه بحبك لو وافقتِ أو على أقل تقدير سأجعلك تجذبين أنظاره نحوك".

قالت بتردد: "كيف؟ ولمَ أثق بك؟".

أجابها: "لأني بكلِّ بساطة أريد أن أساعدك.. كما ساعدتِني يومًا ما.. ما زلت أذكر.. لم أنسَ عرفانك".

قالت: "لا أدري.. لست مقتنعة".

قال: "تعرفين عنوان بيتي، لم يتغير منذ أيَّام المدرسة.. لو غيرت رأيك سانتظرك غدًا مساءً عند السادسة عصرًا".

تركها ومر من جانبها.. كانت تفكر بما قاله للتو وكم تريد أن تحصل على حلمها.. أن تمسكه بيدها.. ثم تذكرت المساعدة التي تحدَّث عنها أليكس لتوِّه. قالت في سرِّها "ما زال يذكر ذلك اليوم حتى الآن".

*****

كانت "فيكي" تفكر طوال الوقت بما تبقى من يومها بالاقتراح الذي طرحه عليها أليكس، هي محتارة جدًّا كيف له أن يعرف بماذا تفكر ولا حتى أقرب الأصدقاء إليها.. لم يشعر بما تحمله بداخلها اتجاه الدكتور فيرناندو. غضبت من نفسها لأنها كانت واضحة إلى درجة أنَّ شخصًا مثل أليكس استطاع قراءتها.

هل تثق به؟ هل تفعل ما يقوله وما سيقوله لو وافقت على الأمر الذي تحدثا به؟

أيعقل أنه كان يمزح وبغبائها قلبت مزحته لحقيقة حينما بان على وجهها ما كان مخبئًا؟ صحيح هي تعرفه منذ زمن بعيد وبينهما حكاية لم تعتقد أنه يتذكرها إلى هذا اليوم.

عادت بذاكرتها اثنتي عشرة سنة إلى الوراء قبل نهاية السنة الدراسيَّة.. كان أليكس أحد أذكى التلاميذ في فصلهم، وكان شخصًا اِنطوائيًّا بعض الشيء.. تعمد البعض من الطلاب الآخرين أن يزعجوه ونجحوا في ذلك حين لكم واحدًا منهم وحدث شغب بينهم، وبعد أن سمع مدير المدرسة كاد يعاقب أليكس، ويخسر المنحة المقدمة إليه ليدرس الطب لما وقف الجميع ضده، فما كان من فيكتوريا إلا الذهاب وإخبار المدير بالحقيقة، وتم استدعاء الجميع وأرغمهم على أن يعتذروا له.. كلفها ذلك وقتها.. هجرها من قبل حبيبها رئيس الشلة آنذاك، ولم تحضر حفلة تخرُّج الدفعة، لكنها الآن تفتخر بما فعلته وقتها؛ فالوقوف بجانب الحق فضيلة، والتنمر أمر تودي نتائجه إلى أمور خطيرة، وخاصة بين الأطفال والمراهقين، وكم من قصص سمعت عنها كانت نهايتها كارثية، والسبب كان التنمر.

أغمضت عينيها وارتمت إلى السرير.. لم تعد تستطيع التفكير.. لتنام.. فكرت وبعد أن ترتاح سيكون اتخاذ القرار بذهن صافٍ أفضل من ذهن متعب متشوق لنوم عميق.

غفت من شده تعبها، لكنها استيقظت فجرًا على صوت سيارات الإسعاف وهي تمر من القرب من بيتها.. شعرت بالعطش.. قامت لتشرب الماء.. دخلت إلى المطبخ بعينين نصف مغلقتين.. وضعت لها في كاس ماء وارتشفت. لم تعد إلى غرفتها، كان جسدها أكثر ثقلًا، وقدماها لم تحملاها، حتى السرير ارتمت بكلِّ بساطة على الأريكة في الصالة، وعادت إلى النوم مرة أخرى، لكنها نهضت مرة ثانية عندما رن منبه الصباح مشيرًا إلى الثامنة صباحًا.

صحت وهي تلعن نفسها لأنها نسيت أن توقف المنبه، لانَّ اليوم يوم عطلتها، وكانت تتمنى لو تتأخر في الاستيقاظ، لكن فات الوقت على هذا.

كان جسدها متشنجًا لأنها أكملت نومها على الأريكة.. تثاءبت، ومطت عضلاتها ففرقعت فقرات عنقها، ثم نهضت ذاهبة إلى الحمام.

الساعة التاسعة.. غيرت ملابسها بملابس رياضية استعدادًا للرياضة.. أغلقت باب منزلها، ووضعت هاتفها الخلوي في جيبها تربطه بسماعات على أذنيها، وانطلقت تركض في الحي الذي تسكن فيه.. ألقت التحية على بعض الجيران.. وأكملت المسير.

تحب الرياضة وتزاولها كلما سمحت لها الفرصة.. تستشعر الهواء البارد الذي يدخل إلى صدرها. بنسمات صباحية، وخاصة في فصل الخريف، والأشجار التي تتلون بالأصفر والأحمر والبرتقالي بعضها يتغير إلى البني والبنفسجي.. تبدأ لفحة

الهواء البارد المنعش في ساعات الصباح الأولى.. تعشق نيويورك في الخريف.. تأخذها أقدامها إلى المنتزه القريب منها.. إنها تجري منذ ساعة تقريبا.

تنظر إلى ساعتها، وتشعر بالجوع، تعود أدراجها لتحضر لنفسها طبقًا من البيض المخفوق بالخضراوات المفضل عندها. تنتهي لتأخذ دشا يزيل عنها عرق الرياضة وتعب النهار السابق.

حياتها روتينيه جدًّا؛ ليس فيها أي جديد منذ زمن طويل.. الشيء الوحيد الذي تغير هو لما انتقل فيرناندو إلى المستشفى الذي تعمل فيه قبل عام، ومنذ ذلك الوقت وهي تحلم به.

لا يخلو يومها من إزعاج أليكس لها بالطبع، حتى فكر البعض أن بينهم عداوة أو شيئًا من هذا القبيل، ولكنهم لا يعرفون أن طبعه هذا منذ زمن.. والآن عادت لتفكر بأليكس.. كانت قد نسيته تمامًا، لكن كيف تنسى ما طرحه عليها.. نظرت إلى الساعة المعلقة على جدار المنزل.. تشير الساعة إلى الثالثة عصرًا.. لقد أخبرها أن تلتقيه بالسادسة.. هل تذهب؟ هل تنسى ما قاله وتبقى تنتظر أن يتلطف الله عليها ويجعل فيرناندو يلتفت لها؟ هل تسمع كلام أليكس وتثق به؟

لما تثق به، هل فعلًا يريد مساعدتها لأنها ساعدته يومًا ما، لكنها ليست واقعة في مأزق يهدد حياتها.. إنها فقط معجبة بفارس أحلامها، وهو لايعرف هذا، بل قد لا يكون قد انتبه لها أصلًا، حتى إنه يخطئ باسمها في الكثير من الأحيان.

فكرت أكثر، وتوصلت إلى أنها لو ظلَّت هكذا لن تصل إلى مبتغاها وهي بالفعل تحتاج إلى المساعدة، وأليكس عرض عليها ذلك وهو الوحيد الذي فهم ماذا تخبئ.. كيف فهم؟ ليس مهمًا الآن، بل هل فعلًا سينجح في جعلها تجذب نظر

فيرناندو لها.

لم تتحمل أن تنتظر حتى السادسة.. الساعة الرابعة والنصف عصرًا.. ها هي تقف أمام منزل أليكس القديم.. إنه كما هو تقريبًا؛ الطلاء الخارجي قد تغيَّر بعض التعديلات الصغيرة في الحديقة الأمامية.

ابتسمت.. كم عاشت من ذكريات كثيرة في هذا الحي، بيتها القديم الذي عاشت فيه طفولتها على بعد بضعة بيوت انتقلت إلى مكان أقرب من المشفى الذي تعمل فيه حتى لا تخسر وقتًا كثيرًا.

وبينما هي غارقه في التفكير والذكريات، قاطعها عن شرودها صوته وهو يقول: "لم أتوقع أن تأتي مبكرًا هكذا.. لا بد أنك كنت فعلا تحتاجين إلى طوق نجاة، والحمد لله اني موجود".

استدارت إليه.. جعلها تندم بالفعل لأنها أتت.. نظرت نحوه عاقدة حاجبيها.. تمتمت في نفسها قائلة: "كنت مخطئة جدًّا لأني صدقته لا يريد إلا اِستفزازي، وأنا الغبية صدقته".

استدارت، وكانت سترحل وتعود إلى منزلها.. لما ركض خلفها وأوقفها.. أدارها إليه وقال: "هل تستسلمين من البداية.. كنت أمزح. لا تحبين المزاح أبدًا.. هذا ليس جيدًا".

أفلتت يدها من قبضته وقالت: "لما تتعمد إزعاجي.. ماذا فعلت لك؟".

قالها ضاحكًا: "لأنك تنزعجين بسرعة.. لم تقاوميني مرة على الأقل، لكن ليس هذا حديثنا.. لقد أتيت إلى هنا يعني انك توافقين على مساعدتي".

أجابت: "لا أدري، لم أعد واثقة.. أعتقد أنني سأعود؛ هذا أفضل".

قال: "جربي لشهر واحد فقط.. إذا لم يحدث أي تطور، لن تكوني قد خسرتِ شيئًا، وإن حدث، ستربحين فيرناندو.. ما رأيك؟".

كان يشجعها أن تقبل بالاتفاق وهي سلمت بالأمر.. لن تخسر شيئًا فعلًا.. كلُّ ما يحدث أنها ستقضي وقتًا أكثر مع أليكس، ويجب عليها أن تتحمل سخافاته وإزعاجاته لها.. إنها تفكر بكلِّ جدية بالنظر إلى الكأس من الجهة المملوءة، لا الفارغة.

أدخلها إلى منزله ورحب بها بكوبٍ من القهوة مع بعض الدونات التي كان قد اِشتراها منذ وقت قريب من ذلك اليوم.

جلست بصمت تتلفت بعينيها إلى المكان.. لم تدخله من قبل.. حتى لما كانت تعيش بنفس الحي.. أمه كانت امرأة، طيبه لكن والده كان رجلًا قاسيًا بعض الشيء.. توفي بمرض تليف الكبد، سببه الكحول، قبل عدة أعوام.. كان أليكس لا يزال يدرس في كليه الطب، وبعدها بسنتين، توفيت والدته ولم يتبقَ له أحد. وكان ولدًا وحيدًا لا إخوة له.

قال لها: "لنبدأ بالدرس الأول حتى لا نضيع الوقت".

أجابت متشوِّقة للسماع: "كيف وبماذا نبدأ؟".

أعطاها كتابًا كان موضوعًا على الطاولة وقال لها: "لديك ثلاثة أيام لتقرئي هذا الكتاب وتفهميه جيدًا، ثم تأتي إلي في اليوم الرابع لنتناقش فيه وإذا كان لديك فضول بأمر ما سأجيبك، ثم نبدأ بمرحلة أخرى".

أخذت الكتاب من يده و قالت باستغراب: "بماذا يساعدني؟".

أجاب بكلِّ سهولة: "سيجعلك تفهمين كيف تفكر الرجال، وهذا سهل جدًّا مقارنة بالرجال الذين يسعون لفهم المرأة".

قالت غير موافقة على كلامه: "أنتم الرجال هذه حجتكم لا تفهمون المرأة، النِّساء لا يحتجن لكتب أو أبحاث لتفهموهن، النِّساء لا يحتجن إلا للحبِّ والاهتمام والعطف".

"والكثير من النقود".. أجاب أليكس.

قالت: "لا، ليس كلهن قد تكون مَن تعرَّفت أنت إليهنَّ، لكن ليس جميعهن.. لا تخلط الأوراق يا أليكس.. ليس كلُّ النِّساء مثل بعضهن بعضًا، والقاعدة تنطبق على الرجال أيضا".

تعجَّب من ردِّها.. ابتسم.. كانت تتحدث بكلِّ عفوية ودون تثقل أو تمثيل، لكن بهذه الطبيعة البسيطة، لن تحصل على مرادها، بل بالعكس ستتألم كثيرًا.

قال لها: "إذن يجب علينا أن نُغيِّر من طريقة تفكيركِ وتحدثكِ أيضا.. يجب أن تكوني أكثر غموضًا وتعقيدًا.. بخطوات ثابتة سيأتي كلُّ شيءٍ على حدة، المهم أنهي الكتاب وأراكِ بعد ثلاثة أيَّام".

أومأت برأسها، لا تعرف ما الذي يقصده، وأخذت الكتابَ وضعته في حقيبتها، ثم غادرت مسرعة لتعود إلى المنزل وتقرأه.

"في بعض الأحيان يجب على الرجل أن يشعر أنه سيخسر أمرًا ما، أو أنه على وشك خسارته ليعلم قيمته، وكم يعني له".

مقتبس.

*****

"يقدر الرجال عندما تعاملهم النساء على أساس أنهم رجال، ومجرد شعورهم أنها بحاجة إليهم، يملؤهم بالسعادة. الرجل بحاجة إلى أن يشعر أنك بحاجة إليه ليتمكن بالقيام بواجبه الفطري تجاهك كرجل".

مقتبس.

*****

لثلاثة أيَّام وهي تقرأ الكتاب ذا الصفحات الممتلئة بالنَّصائح التي إذا طبقتها المرأة فسوف تنجح بالتَّأكيد؛ بالحصول على رجلِ حياتها أو إبقائه بجانبها.

لثلاثة أيَّام وهي تقرأه في كلِّ فرصة تسمح لها كأنها تراجع لامتحان مهم، ولا بدَّ أن تأتي بتقديرٍ عالٍ فيه كي تتحول إلى المرحلة القادمة، حتى زميلاتها في العمل تساءلن "لمَ تقرأ هذا الكتاب خاصة". فكانت تجيب أنه هدية، ولم يكن هناك وقت لقراءته.

انتهت المدة التي قررها أليكس وها هي فيكتوريا تقف للمرة الثانية أمام عتبة منزله خطوة للأمام وخطوة للخلف؛ لا تزال مترددة، لكنها لمت شجاعتها وضغطت على جرسِ المنزل.. ما هي إلا ثوانٍ وكان أليكس فاتحًا الباب، مُرحِّبًا بها، وبيده كأسٌ من الشراب.

دخلت وجلست كما طلب منها، ثمَّ سألها إن كانت تريد أن تشاركه في الشراب.. رفضت شاكرة، وبعدها جلس أمامها على كرسي في الصالة وقال: "هل أكملتِ الكتاب كلَّه؟ وماذا فهمتِ؟".

تنفست فيكي بقوة وقالت: "بصراحة لم أكن أدري بوجود هذا الكم الهائل من المعلومات، والاختلاف الكبير بيننا؛ نحن الرجال والنساء".

ابتسم أليكس وعاد بجسده إلى الخلف وكأنها أثنت عليه، لا على الكتاب وقال: "ألم أخبرك بذلك؟ ما علينا.. الأهم أنك فهمتِ ما يقوله الكاتب هنا. والآن، يجب عليكِ تطبيق هذا بالحرف، وأن تتذكري دائمًا ما قرأتِه، لكن بالطبع تحتاجين إلى دروس أخرى لأنكِ لن تعتمدي على الكتاب فقط".

كانت تعرف أنَّ أليكس ذكي، لكنها لم تكن تعرف أنه فيلسوف أيضا. ابتسمت وقالت: "وانا مستعدة لأي شيء يكفي أن أجذب انتباه فيرناندو".

نهض وهو يقول: "أحسنتِ، يجب أن يكون لديكِ هدفٌ، وأن تفعلي المستحيل لتحقيقه، والآن أخبريني، كم مرة تذهبين إلى صالون التجميل".

استغربت فيكي؛ ما علاقة هذا بذاك.. قالت لما أجابها: "لأنني أرى صديقًا لي يجلس أمامي، لا امرأة جميلة شقراء".

أجابته: "ما الذي تقصده؟ يبدو أني مُخطِئة فعلا بالوثوق بك! أنت تقلل من شأني هكذا!".

أجابها وهو يتقرب منها رافعًا الدبوس الذي كانت قد ربطت به شعرها ككعكة فوق رأسها وقال: "انظري إلى شعرك.. كم هو جميل! دائمًا ما أراه مربوطًا.. أنت امرأة فاتنة، لكنكِ لا تهتمين بنفسكِ.. عيناكِ رائعتان، حتى عطرك

أخَّاذ، لكن هذا لا يكفي إذا لم تهتمي بمظهرك أكثر.. يكفي أن يبقى شعركِ حرًّا، وسترين الفرق.

توترت هي من قربها له. كان يتحدث وهو ينظر إلى داخل عينيها بعمق وحنو.. نظرة غريبة جعلته يتخلل إلى جلدها. تشعر بقشعريرة تتسلل إلى كامل جسدها. تعرَّقت يداها، وزادت نبضات قلبها.. كيف لم ترَ هذا الجانب المخفي منه من قبل.. تقاربت الأنفس وهو لا يزال يتمعن في تلك العيون.. لما دفعته فيكي عنها وأرادت النُّهوض غاضبة قائلة: "ما الذي تفعله؟ هل كنت تستغلني لتتسلى بي أم ماذا؟ كلُّ مرة أكرر لنفسي أني مخطئة بالقدوم إلى هنا والوثوق بكَ وأنتَ تزيدُ من شكوكي أيضا".

استدارت لتبتعد، وتوقفت حين قال لها: "وهذا هو الدرس الثالث أن تؤثري في الرجل بعينيكِ.. هل كنتِ تعتقدين أني كنت أستميلكِ نحوي أو كنت أريد أن أطارحكِ الفراش مثلًا.. لا.. أبدًا.. لستِ من نوعي المفضل، لكني كنتُ أعلِّمكِ كيف تجعلين رجلًا يرغب بكِ، ولا يصل إليكِ إلا حينما تريدين أنت".

جلست فيكي بعد أن سمعت هذا الكلام، وأكملت الدرس حتى النِّهاية، واتفقا على موعد جديد.

بدأت هي تفعل كلَّ ما يقوله لها.. غيَّرت من مظهرها ومشيتها.. غيَّرت من طريقة كلامها. وكلُّ مرةٍ يراها فيها فيرناندو يرغب بالتحدث معها أكثر، والبقاء معها أطول، ويبدو أنَّها بدأت تنجح في جذب انتباهه، ليس هو فقط، بل زملاؤها أيضا، وهي كانت لا تزال تأخذ دروس الحب من أليكس، حتى جاء الوقت الذي تنال فيه فيكي ما زرعته كلَّ هذا الوقت وهذه الأسابيع لَّما دعاها فيرناندو أن

تكون رفيقته من أجل حفلة لجمع التبرعات للمشفى، ولم تصدق حينها أنها وأخيرًا ستظهر برفقته. وافقت، ولكنها ذهبت رأسًا لإخبار أليكس. فتحت الباب بعجل من دون حتى أن تطرق الباب، ودخلت. رفع عينيه ليراها واقفة أمامه. ابتسم وقال: "خيرًا يا فيكتوريا؟ ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟".

أجابت بنَفَسٍ متقطع: "لقد داعاني إلى الحفلة.. سأكون برفقته في حفلة المستشفى".

ابتسم بزيف وقال: "وأخيرًا حدث ما أردته، لكنَّ هناك أمرًا آخر يجب أن تتعلميه مني".

قالت: "وماذا يوجد بعد ذلك؟ لقد طلبني لرفقته؛ أكون هكذا نجحت".

قال: "النَّجاح ليس في حصولك عليه، النَّجاح هو استبقاؤه بجانبك.. تعالي اليوم أيضا لأخبرك ما الذي عليكِ فعله حتى يصبح لكِ، وألَّا ينظر إلى أخرى بوجودكِ".

هزت برأسها موافقة، وخرجت من غرفته.. كانت سعيدة جدًّا لأنها حصلت وأخيرًا على مبتغاها.. خطوات فقط وستجعله يعترف بحبه لها.

تجد نفسها تجلس مرة أخرى من مرات عديدة في ذلك الصالون الذي كلما تخرج منه وهي محملة بدروس تصل إليها بطريقة مدهشة لأنَّ معلمها مدهش رائع، يجعلها تشعر بشيءٍ غريب كلما تحدث إليها كلما تقرَّب منها بحجة ما.

تتوتر كلما تضع قدمها إلى داخل هذه الصالة، مثلما تتوتر كلما حدث وتلامسا هما الاثنان من قصد أو دون قصد، ويكون هو معظم الأحيان يقصد لمسها. يعجبه حين تتورد وجنتاها وتتلعثم بالكلام. يسعد جدًّا حين يراها ترتجف وتبلع

ريقها كلما تقدَّم منها. أكثر ما يغريه هو نظراتها الخجولة وهي تزيحها كلما تقابلت عيناهما.

كان الوقتُ مساءً، والسماءُ صافية حين طلب منها أن يجلسا بالحديقة الخلفية. أخذ معه قنينةً من النبيذ الأحمر وكأسين وضعهما على الطاولة القريبة من مكان جلوسهما، وقال: "لنحتفل إذا بتَّحقيق أول خطوةٍ لكِ".

ابتسمت ووافقت. قدَّم لها الشراب وارتشفت. كانت عيناه تراقبانها، ولمَّا أمسكته بالجرم المشهود، أزاح نظره، ورفعها إلى السَّماءِ وقال: "النُّجوم جميلة هذه الليلة! أليس كذلك؟".

قالت: "بلا.. حتى هذا الهدوء رائع! أحب هذه الأجواء".

أجابها: "أعلم".

استغربت! من أين يعلم؟ لكنها لم تسأل حتى لا يفاجئها بالجواب، لكنها قالت: "بما أننا اِحتفلنا بنجاحي الأول، ما هو الدرس الآخر؟".

قال لها وهو يصب له كأسًا أخرى من الشراب الأحمر: "يجب عليكِ أن تشعريه أنه بطلك.. أن تشعريه أنكِ تحتاجين إليه دائمًا. حتى لو لم تقولي له، يجب عليك أن تفهميه أنكِ امرأة تحتاج إلى سندٍ، وأنه هو هذا السند الذي تعتمد عليه.. أن تكون لمساتك تترجم ما بداخلك دون أن تقولي شيئًا".

أجابت هي: "كيف؟ لم أفهم".

قال وهو ينهض من الكرسي واضعًا كأسه على الطاولة: "اِنهضي وقفي أمامي.. هيا.. اِنهضي.. اسمعي لما أقوله".

نهضت.. تقدَّم منها وقال هامسًا: "اِلمسيني.. تخيلي أنني فيرناندو.. أغمضي عينيكِ، وتخيلي لو كنتُ أنا هو، ما الذي كنتِ ستفعلينه".

وقفتْ لثوانٍ تنظر إليه، ثم أغمضت عينيها. رفعت يدها وأخذت تلمسه وهو متجمد لا يتحرك.. إنه يراها بالقرب منه هكذا قطعة من الحلوة الشهية التي لا يشبع بالنَّظر إليها أبدًا. لم يرَ بحياته امرأة مثلها قط.. لم يتحمل هذا القرب أكثر.. لا يتحمله.. قاطعها بصوته وقال: "أنت متشنجة.. لن ينفع هذا الذي تفعلينه.. يجب أن تكوني أكثر خفة.. يجب على لمساتك أن تكون أكثر حنية ومليئة بالرغبة.. الرغبة التي تشعل دواخل الرجال.. أن تجعليه يرغب بكِ أكثر كلما يكون قريبًا منكِ. قالت وهي ممتعضة: "لكن هذا ليس حبًّا.. أريده أن يحبني".

أجاب: "نحن الرجال يختلف حبنا عن النساء، لكن سأساعدك على الفهم".

لفها بيده، ووضع إحدى ذراعيه خلف ظهرها يشدها إليه بكلِّ لطف، ثم بدأ يمرر بيده الأخرى على ذراعها بكلِّ هدوءٍ. يهمس بأنفاسه الحارة خلف أُذنيها.. لم ينطق بكلمة واحدة.

إنه يعرف كيف يتعامل مع جسدها.. كأنه يضغط على كلِّ مواقعِ التَّحسس فيها. يعرف أين بالضبط يرخي قبضته، وأين يشدها، وهي تذوب تدريجيًّا بين يديه. تغمض عينيها الذابلتين.. وتتقرَّب أكثر منه.. يحدثُ ما لم يكن في الحسبان، أو يحدث ما كان يجب أن يحدث.. تتقابل الشفاه فيقبِّلان بعضهما بعضًا، لكنَّها تغضب فجأة.. تبتعد عنه، ثم تصرخ قائلة: "هل هذا ما كنت تريده؟ هل تراني لقمة سائغة لأني جاريتك؟ كيف تُقبِّلني؟ كيف تجرؤ على ذلك؟".

يمسح شفتيه كأنه يمسح الجرم الذي قام بفعله للتو.. يتأسف منها قائلًا: "أنا لم أقصد.. آسف، يبدو أننا تمادينا نحن الاثنين؛ فلم أقبِّلك وحدي، قبَّلتِني أنا أيضا".

أجابت هي: "لا تفعل يا أليكس.. أنت تعلم أني أريد فيرناندو".

قال لها مبتسمًا: "ويبدو أنَّكِ ستحصلين عليه إذا سمح الأمر وقبَّلتِه هكذا.. ستحصلين عليه بالفعل. رجلٌ مثل فيرناندو تجذبه النِّساء الاتي يعرفنَ كيف يعاملنه، وأنتِ أصبحتِ واحدة منهن". نظرت إليه.. لم تُفسِّر النَّظرة التي في عينيه..

أخذت حقيبتها وقالت: "هذه آخر مرة آتي فيها إلى هنا".

خرجت مسرعة، ولكنها كانت هذه المرة مختلفة جدًّا؛ لم تكن مثل المرَّاتِ الَّتي سبقت.. كان خروجها ناقصًا.. لقد تركت جزءًا منها هناك.. توقفت فجأة، واِستدارت إلى المنزل بعد أن اِبتعدت عدة خطوات.. رأته واقفًا في النَّافذة.. كان يراقب ذهابها بكلِّ هدوءٍ.

*****

موسيقا كلاسيكيَّة تعزف بالخلف همسات وضحكات، وتبادل ابتسامات هنا وهناك.. وهي قد أتت مع حلمها.. حلمها الذي أصبح حقيقة في نهاية الأمر. ترتدي فستانًا من الستان، وبجانبها فيرناندو ببدلته السموكن السوداء.. يتحدث عن نفسه بما يقارب الساعة تقريبًا، وهي تستمع بكلِّ هدوء له.. لا تريد أن تستيقظ من حلمها أبدًا.. ما زالت غير مصدقة.. حين دخلت إلى الحفل تشبثت بذراعه.. الأنظار كانت عليهما منذ لحظة دخولهما للصالة، لكنها كانت بين وقتٍ

وآخر تلف بعينيها باحثة عن رجلٍ آخرِ تنتظر قدومه ليرى بعينيه انتصارها.

يبتعد فيرناندو مستأذنًا إيَّاها أن يذهب ويتحدث مع أحد الجراحين المتخصصين في التجميل، فتأذن له ليسمح لها الوقت بالذهاب إلى ليلى صديقتها، وتسألها عن أليكس وتقول: "ليلى، تبدين جميلة جدًّا".

أجابت صديقتها وجاملتها بالمثل وقالت: "وأنتِ لا بأس بكِ.. كانت مفاجأة لما دخلت بين ذراعي الدكتور فيرناندو".

ابتسمت وقالت: "لقد دعاني ووافقت.. ليس بالأمر المهم".

كانت تخبرها بعكس ما تشعر به حتى لا تكشف مشاعرها لأحد.. اِحتفظت بها لمدةٍ طويلةٍ، وستحافظ عليها حتى تتأكد فعلًا أنهما قد ينجحان بعلاقتهما، أو ما تفكر هي به، لكن كان الفضول يقتلها لمعرفة أين هو أليكس؛ لتسألها عنه وقالت: "يبدو أنَّ الدكتور أليكس ليس موجودًا.. عادة هو من يلقي كلمة الحفل.. هل تأخر أم ماذا؟".

أجابتها ليلى وكأن فيكتوريا لا تعلم ما حدث له؛ فلم تكن قد عملت هذا اليوم، ولا تعرف شيئًا لما حدث هذا الصباح وقالت: "صحيح، لا تدرين ما حدث، لقد عُرِّض الدكتور أليكس لحروق في يده إثر سقوط مادة حارقه اليوم في المختبر، وكان يتألم بشدة.. تم إسعافه، وعاد للمنزل كي يرتاح، حتى طلب إجازة لشهر، وهذه ليست من عاداته أبدًا.. لم يأخذ من قبل إجازة أكثر من يومين، وكان معظمها من أجل أعمال طبية".

تعجبت فيكتوريا غير مصدقة؛ لقد فاتتها الكثير من الأحداث، لكنها حزنت جدًّا لما حدث لأليكس.. كانت تريد أن تتصل به، لكنها أغلقت الهاتف قبل أن يرن.

تصادمت عيناها مع فيرناندو الذي ما زال واقفًا يدردش مع طبيب آخر.. ابتسم من بعيد لترد له الابتسامة، لكن هذه المرة كانت باردة، دون إحساس.. فكرت للحظة في نفسها وقالت: "هل هذا ما تمنيته؟ هل هذا ما أريد أن أفعله في حياتي كلها؟ سأحاول دائمًا أن أجذب نظرَ فيرناندو إلي.. هل أنا سعيدة حقًّا بانتصاري هذا؟ أأثبتُّ لنفسي أني امرأة يرغبها الجميع وأني أستطيع الإيقاع بأيٍّ كان؟ لكن هذا كله تمثيل.. ليست حقيقتي؛ أنا لست هكذا.. أحبُّ نفسي وأنا أتعامل على سجيتي وطبيعتي.. لا أريد أن يكون شعري مفتوحًا لأغري به أحدًا.. ولا أريد لجسدي أن يهيِّج مشاعرَ أحدٍ، ولا لهمسي أن يثير رغبةَ أحدٍ.. أريد أن يحبونني كما أنا بمحاسني وسيئاتي".

لقد تلقت الدرس حين كانت تنظر، وتتمعن في النَّاس من حولها.. المظاهر الكثيرة والأقنعة التي لا ينفك النَّاس أن يستبدلوها كلَّ مرَّةٍ، ومع كلِّ شخص جديد. هي ليست كذلك، ولا تنتمي لهم.. إنها امرأة لرجل واحد يعرفها كما هي، وكما كانت وستبقى.

أخذت حقيبتها وخرجت تجري.. لاحظ فيرناندو خروجها المستعجل؛ فلحق بها.. صرخ مناديًا اِسمَهَا.. توقفتْ.. اِستدارتْ، وتقرَّبتْ منه، وهو منها، في عينيه عتابٌ، وقال: "هل تغادرين يا فيكي".

ابتسمت وقالت بكلِّ هدوء: "اسمح لي، لقد طرأ شيءٌ، ويجب أن أخرج، وشكرًا لأنك دعوتني.. أنا ممتنة لكَ".

قال متسائلًا: "إلى أين؟".

أجابت: "إلى مكان يجب أن أكون فيه.. إلى مكان أنتمي إليه حقًّا".

كان سيرد، لكنها كان قد استدارت ترفع فستانها بيديها، وتجري مسرعة للخارج. توقَّف سيارة أجرة وتدل السائق على العنوان الذي يجب أن تكون فيه.

تشعر أنها خفيفة لا تحمل من الهموم الكثير.. سعيدة هي، والقلب يرقص على أنغام أغنية قد شغلها سائق التاكسي في الطريق.. لأول مرة تخطو هي خطوة جريئة.. لأول مرة، تعترف بنفسها أنها قد تندم على ما فعلته، وما ستفعله، لكنها غير خائف، بل على العكس، لديها شجاعة أسد وحكمة حمامة.

توقفت السيارة أمام منزل أليكس، نزلت هي. كان النور مشعولًا في الصالة. نظرت إلى ساعتهاح كانت تشير إلى الحادية عشرة وأربعين دقيقة.. طرقت الباب، ولا تعلم، هل سيفتح لها أم لا.

تنفست بعمق.. أغمضت عينيها وهي تردد في نفسها "واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة.. خمسة...". وعند الستة فُتِحَ البابُ لها.. كانت تقف أمامه، وهو على وجهه علامات استفهام كثيرة.. قال: "فيكتوريا.. ما الذي تفعلينه هنا؟".

أجابت: "لقد علمت أنك عُرِّضت لحروق في ذراعك، وطلبت إجازة لشهر كامل، وهذه ليست من عاداتك".

قال: "ومنذ متى تهتمين لعاداتي مثلًا؟".

لم تجبه.. دخلت إلى المنزل بعد أن أزاحته من أمامها. نزعت حذاءها ذا الكعب العالي لأنه أرهقها طوال مدة ارتدائه.. وضعت حقيبة يدها على الطاولة، واستدارت إلى أليكس الذي كان مندهشًا من تصرفاتها، وقالت: "متى غيَّرت على الحروق".

أجاب: "منذ الصباح".

قالت: "أوه.. مدة طويلة، يجب أن تغيِّرها على الأقل كلَّ ٦ ساعات.. هل لديك علبة إسعافات أولية؟ يجب أن يكون لديك.. أليس كذلك؟".

قال لها: "يوجد في الحمام في الرف الأعلى حقيبة إسعافات".

لم يكمل جملته، تركته ذاهبة إلى الحمام لتخرج الحقيبة، وعادت بها إليه.. كان جالسًا على الأريكة.. جلست بجانبه.. طلبت منه أن يمد لها ذراعه؛ ففعل. فتحت الضمادة، وبدأت بعملها المعتاد. نظفت مكان الحرق، وضعت الكريم ثم أغلفته بشاشٍ أبيض، وكلُّ هذا وهو يراقبها. لم يشعرْ حتى بالألم لأنه كان مغمورًا بها. لم تكن أي من حواسه تعمل سوى حاسة البصر والشم غارقًا في عطرها، ودائخًا بجمالها. اِنتهت هي من تضميده، لكن هو لم ينتهِ منها. أرادت أن تنهض لتعيد الحقيبة إلى مكانها، لكنه أمسكها من يدها، تقرب منها وقبَّلها.. كان جائعًا بشدة إلى شفتيها.

لم يتركا بعضهما بعضًا إلا وكاد الأكسجين ينفد من صدرهما.. التصق رأسهما بجبينهما وقال لها: "لِمَ أنت هنا ولستِ مع حلمك؟".

أجابت: "أنت قلت "حلم".. وليس حقيقة، ولكني هنا مع حقيقتي".

قال: "ألن تندمي فيما بعد؟ ألن تتعبي مني وأنتِ تعرفين كم أنا صعب

المراس؟".

أجابت هي وقالت: "أنت كنت تعرفني كما أنا، وأحببتني، وأنا عرفتك كما أنت، ويبدو أنني وقعت بغرامك؛ لنعش حقيقتنا، والحياة ستدلنا على الطريق".

احتضنها إليه وقال: "ساحاول أن أكون الحقيقة والحلم.. الواقع والخيال".

ابتسمت هي وقالت: "أتيتك طالبة لتعلُّم الحبِّ؛ فوقعت في حبك".

أخذها إلى أحضانه وقال هامسًا لها: "كنت أعلِّمُكِ الحبَّ، وتعلمتُ منكِ كيف أحبك أكثر".